

تَنْصِيرُ قَبِيلَةِ الْفُولَانِي فِي غَرْبِ إفريقيا

بقلم : عبد الرحمن أحمد عثمان

العربية في شمالي نيجيريا) ، أنه وقبل ستين عاماً جاء إلى البلاد النابيجيرية أحد المنصّرين يدعى مستر ملر ليأخذ معه إلى أوروبا بعض أبناء الزعماء الفولانيين منهم « توجو بايرو » - الذي هداه الله بعد ذلك إلى الإسلام - وهو ابن أمير زاريا ، ومعلم تقيده الذي مات على نصرانيته في العام المنصرم . والسؤال الذي يطرح نفسه هنا تلقائياً : من هم الفولانيون ؟ ولماذا يهتم المنصّرون بهم ؟ ومن هم المنصّرون ؟ وما مظاهر ذلك التنصير ؟ وما هي وسائله ؟

الفولانيون مجّدٌ من دانفوديو إلى شقاري ...

يصف المؤرخون الفولانيين بأنهم أنكى القبائل في إفريقيا قاطبة . فقد بدأت قبيلة الفولاني تظهر إلى حيز الوجود منذ عام ٨٧٠ ميلادية ، وكان موطنها آنذاك حوض نهر السنغال في فوتا تورو و فوتا جالون ثم أخذت تهاجر شرقاً وغرباً حتى بلغت هجرتها شرقاً الحدود السودانية الإثيوبية ، وغرباً إلى موريتانيا .. وهم قوم طوال الأجسام نحافها ، يتميزون عن جيرانهم بالبشرة الفاتحة والأنف المستقيم والشعر السبسي إلى حد ما . وهذا الاختلاف النفسي والعقلي والجسمي سوّغ لرواج كثير من الآراء حول أصل الفولاني .

يرى بعض علماء الأجناس الحضارية أنهم من البطون الضالة لقبيلة بني إسرائيل .. فيما يرى آخرون أنهم من بقايا رجال الامبراطورية الرومانية في شمالي إفريقيا .. وهذه النظرة لا تختلف كثيراً عن تلك التي ترى أن أصلهم مصريون ، معتمدة في ذلك على « الطاقية » التي يتعمم بها الفولانيون ، فالملابس الباقية رومانية الشبه ، فقد يعني ذلك أنهم من بقايا الأسرة الحاكمة من الرومانيين الذي حكموا مصر .

ويرى آخرون أنهم ربما كانوا فينيقيين ، أو أثيوبيين ، أو ربما كانوا من ملايا .

يقدر علماء الإحصاء أعداد الفولاني بما يجاوز العشرة ملايين .. والفولانيون رعاة بدو ينقسمون إلى شطرين : بدو

■ أروي لك فصلاً من قصة التنصير .. إنها رواية اتخذت من العالم كله مسرحاً لها وتعددت فيها الفصول والأبواب بتعدد قازات العالم وإقطاره . إنه مسلسل يتعرض لدين الإنسان وسياساته وسيادته .

فعندما أعوزت الامبريالية العالمية الحيلة في الاستعمار المباشر فطلعت إلى نوع من الاستعمار الجديد الذي يربط بينها وبين من تود السيطرة عليه برباط من العقيدة متين حتى يذعن عن رضى وطيب خاطر . قرأت لهم في أكثر من كتاب بلغة الهوسا .. لغة الفولاني المتكف .. تلك الأسطورة التي تقول : إن المسيح عليه السلام يسعى لوضع غنمه في زريبة ويبني ويبيت يحرسها عند الباب ، فتنام أمته ويبني هو مؤرقاً من أجلها . أو هكذا يصفون المسيح بأنه راعي لهؤلاء القوم الرعاة .. « الفولاني » . هذه هي حظيرة النصرانية الضيقة التي تخطتها سعة الإسلام وسعة رحمة الله .. ■■

فعندما بدأت الامبريالية تعاني مخاض التجربة « تجربة النزوع إلى الحرية من قبل الدول الإفريقية » أفرغت رباح التغيير وأضحت تخشى رباح شبحي « الوطنية » و « الإسلام » . الوطنية التي أضحت تعني عند الإفريقي كراهية كل من هو أبيض - والإسلام الذي ينسجم مع تفكير الإفريقي فلا يجد حرجاً في تعدد الزوجات إن رأى في ذلك ضرورة .

وإزاء هذين الأمرين سعت الكنيسة لخلق عملاء لها وأصابع تدبر بها خيل الشطرنج في دائرة السياسة الدولية . ففي إفريقيا سعت إلى أفرقة الكنيسة وذلك بالتركيز على العناصر الإفريقية في إدارة الكنيسة والإرساليات الكنسية والمدارس والمناصب الإدارية العليا في الحكومات الوطنية .

وتحكي لنا الوثائق التنصيرية أن قصة تنصير قبيلة الفولاني في غربي إفريقيا قد بدأت منذ ستين عاماً فقد أخبرنا كثير من الرواة من بينهم الدكتور علي أبو بكر (دكتوراه في الثقافة

تنصير قبيلة الفولاني في غرب إفريقيا

خَلَص ، وحضرين يعملون بالقانون والسياسة والتعليم .
وقد اهتم المنصرون بالبدو منهم خاصة ، وذلك لأسباب
متعددة :

جهل بدو الفولاني بمبادئ الإسلام مما يسهل خديعتهم .
ينتشر الفولانيون على طول حزام السافانا الذي يعارض القارة
الافريقية من موريتانيا غرباً إلى الصومال شرقاً ، وذلك لأنهم
رعاة أبقار ، فهم يتبعون هذا الحزام لتسهيل عليهم عملية الكر
والفر ، فهم يكرون في فصل الجفاف إلى الجنوب بحثاً عن الماء
والكلا ، ويفرون شمالاً في فصل الخريف خوفاً من أمراض البقر ،
وذلك وقاية لأبقارهم التي يعتمدون عليها ويعتمد كثير من الأفارقة
على لحومها والبانها وجلودها . لهذا فهم لا يستقر بهم المقام ،
وقد أورثهم هذا الترحال الجهل إلا بأبقارهم .. فلا يعلمون شيئاً
عن مبادئ الدين ، وقد كتبت إحدى الوثائق التنصيرية تقول :
« والفولاني يجهلون أساسيات الإسلام ويتجلى ذلك في
غياب الممارسات الدينية في أواسط الشباب منهم لما يقع
عليهم من عبء الرعي والإشراف على الأبقار . فلا يجدون إلى
التعليم سبيلاً حتى إلى مرحلة متأخرة من حياتهم حيث
يستطيعون البقاء بالمعسكرات وتلقي بعض علوم الدين
مشافهة من السلف .. »

وفي تقديرنا أن هذا هو الدافع الأساسي وراء محاولة التنصير ،
فقد طرحت الوثيقة المذكورة السؤال التالي : ما الذي يجعل
إخواننا اللوثرين يهتمون بالفولاني وهم مسلمون .. ومن
المعروف أن المسلم التقليدي لا يغير دينه ؟ وكانت الإجابة على
هذا السؤال :

إن تجربة الفولانيين في الإسلام تختلف عن غيرها ، إذ
أنهم يجهلون أسسه ومبادئه ..

لذلك فقد حاول المنصرون إيهام الفولاني بأن الإسلام
والنصرانية لا يختلفان .. فعيسى هو ابن الله ، فعلى المسلم أن
يعتقد ذلك ، وعندما تتمكن منه هذه العقيدة يسعى المنصرون
لتمكين عقيدة أخرى هي أن المسيح ابن الله يتحمل عمن يؤمن به
عناء الصيام والصلاة ، فقد استمعنا إلى هذا الكلام مشافهة
ممن استطاع المنصرون التأثير عليهم ثم قرأناه في وثائقهم ..
والسبب الثاني : هو أن الفولانيين قوم فيهم مكونات الزعامة ،
فمنهم عثمان إنفوديو الذي أسس امبراطورية سكتو وهي التي
مكنت للإسلام في غربي أفريقيا ، ومنهم كثير من زعماء الدول
الافريقية الحالية (رئيس جمهورية نيجيريا الاتحادية ،
شيخو شقاري ، ورئيس جمهورية الكاميرون ، بل إن
الأصول التاريخية ترجع برئيس وزراء السودان الأسبق
السيد « إسماعيل الأزهرى » إلى أصول فولانية ..)
والفولانيون أيضاً محبّون للعلم وعاملون على تعليمه ، فأغلب

المشايع الناجيريين والدعاة إلى الدين من الفولانيين الذين
توطنوا في المدن وانقطعت الصلة بينهم وبين البدو إلى الدرجة
التي لم يعودوا قادرين فيها على الكلام باللغة الفولانية .
لكل هذا أصبح الفولانيون تحت تأثير البث الإذاعي
التنصيري : إذاعة صوت البشارة من أديس ابابا ، سيشيل ،
قاؤوندرى ، الجابون ، ومنروفيا - راديو إلوا ، ولكل هذه الأسماء
صلة ببرامج التنصير الإذاعي .

افتتحت إذاعة صوت البشارة في أديس ابابا عام ١٩٦٣م
لتبث برامج بأكثر من خمس عشرة لغة إفريقية من بينها اللغة
الفولانية ، وعلى حد زعم المنصرين أنهم قد تلقوا أسئلة عن
النصرانية من أفراد فولانيين استمعوا لهذه الإذاعة ، ونتيجة
لهذه الاستجابة الناجحة اجتمعت كل اللوثرات الأمريكية
العاملة في غربي أفريقيا « افريقيا الوسطى ، والكاميرون ،
ونيجيريا ، والسنگال ، وفولتا العليا ، بالإضافة لاتحاد
الكنائس الافريقية واتحاد اللوثرات العالمية واتحاد مجمع
الكنائس العالمي والكنيسة السودانية ، والفاتيكان .. »
اجتمعت هذه الكنائس على مبادئ موحدة هي : ضرورة تركيز
التنصير على قبيلة الفولاني . غير أن هذه الإذاعة « صوت
البشارة » من أديس ابابا قد تعطلت نتيجة للانقلاب الشيوعي
الذي أطاح بالعصر الاثيوبي الكنسي ممثلاً في هيلاسلاسي وذلك
عام ١٩٧٧م .

إذاعة جوس بنيجيريا ..

ولم تكن إذاعة جوس بولاية بلاتو النيجيرية بديلاً مناسباً
وذلك لأنها تبث برامجها التنصيرية بالهوسا والانجليزية ،
والفولانيون ليسوا على علم بهذه اللغات ، لذلك اتجهت الآمال إلى
إذاعة سيشيل التي تحتاج لدعم وزيادة في عدد الذبذبات
العاملة ، وراديو إلوا في منروفيا .. أما إذاعة الجابون فقد
رصدت عربة صالون (داتسون) لمن ينجح في حل المسابقة
الرامية لتحديد الزمن المناسب للبث التنصيري لقبيلة الفولاني ،
والجدير بالذكر أن استوديوهات قاؤوندرى بالكاميرون هي التي
تزود كل هذه الإذاعة بأشرطة الكاسيت الفولانية .

والواقع أن البرامج التنصيرية لا تعتمد على البث الإذاعي
إلا في مراحل الاتصال الأولية أو على حد تعبير المنصرين
« تليين الأرض للغرس والزرع والحصاد » لذا فإن هنالك
وسائل عديدة أولها :

● استغل المنصرون تعلق الفولانيين بأبقارهم في عملية
تنصيرهم بواسطة المنصرين البيطرية .. فهم يجلبون لهم
الدواء ، والعلف ، ويصلحون لهم خُرَانات المياه .. والفولاني
لا يتوانى في احترام كل من يحسن إلى أبقاره ، فمصل الخصوبة
الذي تحقق به الأبقار يجعلها قادرة على الإنجاب السنوي ،
والتهجين وخطات العلف . تجعلها قادرة على توفير جالونين من
اللبن في اليوم . « أي ساحر عيسى الذي باسمه تنجب البقر
وتعطي أكثر » .

● التعليم التنصيري ... ومدارس الحكومة ..

إذا جاؤوا الرجل الفولاني يسألونه ابنه لكي يعلموه سحر المسيح في معالجة الأبقار رضي وضعف وطمع .. خصوصاً وأن الفولاني لا يرسل ابنه إلى المدرسة لأنها لا تعلمه كيف يرعى الأبقار ويعالجها . وفي هذه الحالة فإن الرسائل النصرية أحظى له .

وفي حَضْر الفولاني فإن المدارس لا يوجد بها معلم التربية الإسلامية ولا الكتاب الإسلامي ، في حين تقوم إدارة المدارس بضبط المنهج المقرر لدراسة كل من التربية الإسلامية والنصرانية على قدر وميزان ، ومعلمو التربية النصرانية متوفرون .. ففي المدرسة التي أنشئت في ريف جوس يوجد معلمان للتربية النصرانية في حين لا يوجد معلم واحد للتربية الإسلامية - المدارس هناك تتبنى منهج الفصل للراسخين - وفي هذه المدرسة الجديدة يوجد ثمانية عشر طالباً مسلماً ، وطلّبان نصرانيان ، ويمكنك تعميم المثال .

● دور الحضّانة والأطفال اللقطاء والمستشفيات والمستوصفات والعيادات وسيلة أخرى .. ونكتفي بهذا لكي ننقل لك تقرير لجنة التنصير بواسطة الدعوة المكشوفة ، وهي آخر المراحل التي يلجأ لها المنصّرون .

والتقرير الموضح هو للجنة متغيرة منحصرة في ولاية فنقولا شرقي نيجيريا .. لمزيد من المعلومات اتصل بنا في المركز الإسلامي الإفريقي لنزودك بعشرات التقارير من هذا النوع .

تقرير لجنة العمل التابعة للمنصّرين C.R.C.N

ولاية فنقولا « يولا » نيجيريا

باسم المسيح نحبيكم ونتوجه إليكم بأطيب الأمانى .. إن لجنة التنصير التابعة لـ « سي . آر . سي . إن » تود أن تتقدم إليكم بالشكر على روح التعاون التي ابدتموها نحو الحملة التنصيرية التي قمنا بها في عام ١٩٨١م ، وفيما يلي التقارير التي تعكس التقدم الذي أحرزناه حتى الآن بفضل الرب ومعونته . تقرير رقم (١) الحملة التنصيرية أثناء عام ١٩٨١م لقد عيّنا أحد عشر منصّراً من المنصّرين الجدد وذلك عندما تلقينا طلبات من أهل القرى الذين عبروا عن رغبتهم في الانضمام إلى النصرانية وهناك كنائس في جميع هذه القرى تدرس فيها النصرانية .

ولقد استقبلنا أربعين من المعتنقين الجدد الذين تحولوا إلى النصرانية وتم تعميدهم وبعضهم لا يزال يتلقى دروساً في التعميد ، أما القرويون الذين يقطنون منطقة جبل « فالي » فقد بدأنا بإنشاء الكنائس بينهم منذ بداية العام ، ولقد اكتمل بناؤها . والآن فإن ثمانية عشر من الوافدين الجدد إلى النصرانية يتلقون دروساً في التعميد ، وفي قرية « جكواي » بالقرب من جبل « بيت » فإن طبيباً من الأهالي ألقى حديثاً نصرانياً مؤثراً أعلن فيه قبوله للنصرانية في حضور ذوي القرويين وذلك في التاسع

عشر من يوليو (تموز) ١٩٨١م . واليوم فإن عدد المعتنقين الجدد للنصرانية قد بلغ الثمانية والعشرين .

ولقد عقدنا هناك في أغسطس (آب) دورة تنصيرية مع الفولانيين ولقد حضرها فوق المائتين وخمسين فولانياً .. وفي ختام الاجتماع وزعنا أشرطة الكاسيت للوافدين الجدد حتى يتمكنوا من تعليم النصرانية لذويهم في مناطقهم الدعوية ، كما يوجد منصّر يتجول بينهم بدراجته البخارية على سبيل التشجيع . وكذلك فإن الفولانيين الأربعة الذين تحولوا إلى النصرانية يترددون على المدرسة الانجيلية ويتقدمون بصورة حسنة . وفي وسط المجتمع المسلم في مدينة « يولا » يعمل منصّر نصراني كان في السابق مسلماً وهو يعيش بين ظهرائه هذه الجماعة بصورة سرية .

خطة عملنا لعام ١٩٨٢م ...

نريد أن نعين منصّرين مستديمين في بعض القرى « ماي » « هولا » « قندن » « دوتس » إجابة للطلبات الواردة من المعتنقين والذين يقطنون هناك منذ عام ١٩٨٠م ، ونريد إرسال بعض المنصّرين إلى « داكو » « بين » « بلي » و « قانين » ، لأن الأهالي هناك لم يستمعوا لكلامنا حتى الآن .

ونحن الآن نحضّر للاجتماع مع الفولانيين الذي سيعقد في مايو (أيار) ١٩٨٢م ، ولقد استلمنا بقرة هدية لتذبح أثناء الاجتماع أهداها إلينا أحد الفولانيين ، كما تلقينا تقريراً يفيد بأن عدداً من الفولانيين يرغبون الاشتراك هذا العام . كما نخطط لاقتناء قارب بخاري بين سواحل نهر فنقولا ، كما نريد أن نوظف صيدلياً بجانب المنصّر يستخدم القارب البخاري للوصول إلى أهالي قبيلة جوكوت الذين يعيشون محاذين لشاطئ النهر ودعوتهم إلى النصرانية .

ومن ضمن برامجنا أن ننجز الوعد الجديد عندما تقرا كيف حوّل المسيح بعض الصيادين إلى حواريين فعليين التأسي به قدوة .

إننا نعد بحثاً ونأمل أن نتصل ببعض أعضاء قبيلة الكانوري الذين يعيشون في ولاية برنو ندعوهم إلى النصرانية فإن سبعة أشخاص منهم قد اعتنقوا النصرانية من بين مليونين من أفراد القبيلة .

وكما جاء في التاريخ فإن قبيلة جوكنز قد تعاونت مع أهل الكانوري في حربهم ضد الطوارق فنود أن نستغل هذه الخلفية التاريخية للعلاقات الكانورية الجوكنزية في عملنا التنصيري وسط الكانوريين .. وللوفاء بهذه المقترحات فإننا نطرح أمامكم الميزانية المرتقبة لتنفيذ هذه المقترحات .

إننا نتوجه إليكم بالدعوة للحضور والاشتراك والتعاون معنا لإنجاح هذا المشروع ، وكل من يساهم معنا لإتجاح هذا المشروع فسنعطيه وصلاً وسوف نرسل له تقرير عمل عن كل مناشطنا . إننا نصلي ندعوا لكل من يتقدم إلينا بأي تبرع مالي يستطيعه مهما كان ضئيلاً .